



## الأبعاد النَّفس-اجتماعيَّة لِلذَّهنيَّة المُتطرِّفة تحليل خطاب تنظيمات مُتطرِّفة

ريتا مفرج مرهج\*

### المُستخلص

إنَّ تنامي ظاهرة التَّطرُّف في جميع أنحاء العالم يُشيرُ إلى أنه ما من مُجتمع من مجتمعات الكرة الأرضيَّة غير مُعرَّضٍ لِمشكلة التَّطرُّف. وتهدف الدِّراسة إلى إثبات أنَّ التفكير المُتطرِّف يتخطى الخُصوصيَّات الجُغرافيَّة، والسِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، والدينيَّة/العريقيَّة؛ وذلك من خلال تبيان الأبعاد النَّفس-اجتماعيَّة المُشتركة في خطاب عددٍ من حالات التَّطرُّف المُختلفة (عريقي، إثني، ديني) في حَقبات مُختلفة من التَّاريخ، ومناطق مُختلفة في العالم. اعتمدت الدِّراسة أنموذجًا تحليليًّا يدمج بين دراسة الحالة والنُّظريَّة المُجدرة في تحليل البيانات الواردة في الخطاب اليميني العريقي في الولايات المتَّحدة الأميركيَّة الذي يُعارض مبدأ المُساواة بين الأعراق، والخطاب اليميني الصهيوني الدَّاعي إلى إخراج الفلسطينيين العرب من «إيريتز يزرايل»، والخطاب السَّلفي الجهادي الدَّاعي إلى تكفير كل مَنْ لا يبايع دولة الخلافة الإسلاميَّة. وقد بيَّن التحليل أنَّ الخصائص النَّفس-اجتماعيَّة المندرجة ضمن «صورة الذات» و«النُّظرة إلى الآخر» في خطاب كلِّ من التَّنظيمات المُتطرِّفة

\* دكتوراة في علم النَّفس - الدِّراسة هي جزء من أطروحة دكتوراة، قُدِّمت إلى الجامعة اللبنانيَّة في العام 2022م، بإشراف الدكتورة نجوى اليحفوفي.

الثلاث مُتطابقة ومُشتركة إلى حدٍ كبير من تنظيم إلى تنظيم بغض النظر عن الإطار العقدي والجيوسياسي والتاريخي الخاص بكل تنظيم، وبدا العامل الديني المُحرِّك المُشترَك بين الأنواع الثلاثة من التطرُّف.

## مُقَدِّمة

تُرَكِّز الأبحاث السابقة والحديثة على ما يُسمَّى «بالأرض الخصبية» للتطرُّف، والتي تشمل العوامل: الاجتماعية، والثقافية، والجيوسياسية، والاقتصادية، والدينية، والتاريخية المُساهمة في نشأة التطرُّف والإرهاب. وإذا تحسب معظم تلك الدراسات أنَّ العوامل الظرفية: (الفقر، التنشئة الأسرية والاجتماعية، أساليب التدريس، الإنترنت، الدين، إلخ...) هي المُسبِّب الرئيس لنشأة التفكير المُتطرِّف وتطوُّره، فالفرضية البديهية هي أنَّ زوال تلك الظروف قد يُؤدِّي إلى زوال التطرُّف، وأنَّ وجود الذهنية المُتطرِّفة قد لا يشكل مشكلة في الأساس في بيئة خالية من تلك العوامل الظرفية: (اليسر الاقتصادي، الانفتاح الاجتماعي، الاعتدال الديني، إلخ...). أما السؤال الذي يطرح نفسه فهو: هل هناك بيئات خالية كلياً من الظروف المؤدية إلى نشأة التفكير المُتطرِّف؟

إنَّ نظرة سريعة إلى حال العالم اليوم تُؤكِّد تنامي ظاهرة التطرُّف: جنوباً، وشمالاً، وشرقاً، وغرباً؛ وإنه ما من مُجتمع من مُجتمعات الكرة الأرضية غير مُعرَّض لمشكلة التطرُّف بِخاصة في ضوء التغيُّر الديموغرافي، والنسيج العرقي المُتنوع الحاصل في بلدان تحسب نفسها تجسيداً لمبادئ الديمقراطية، والحزبات، واحترام الحقوق الإنسانية.

فإذا أردنا فهم الذهنية المُتطرِّفة يجب فهم العوامل النفس - اجتماعية المؤدية إلى التفكير المُتطرِّف. لذلك، اعتمدنا في هذه الدراسة على نظرية الهوية الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي؛ لتحليل الأبعاد النفس - اجتماعية في خطاب ثلاثة أنواع مختلفة من التطرُّف، هي: التطرُّف العرقي، والإثني، والديني.

ترى نظرية الهوية الاجتماعية لهنري تاجفل، وجون تورنر (Tajfel and Turner 1986; 2004) أنَّ الذهنية المُتطرِّفة موجودة في كلِّ الثقافات من أيِّ مكانٍ وزمان؛ لأنها تتركز على المُكوِّنات الأساسية لبناء صورة الإنسان الذاتية (الهوية الشخصية)، وهويته الاجتماعية، وعلى احتياجاته الطبيعية (كالحاجة إلى

الانتماء، والحاجة إلى الحفاظ على الذات والبقاء)، بغض النظر عن الطُروف المُحيطة. إنَّ التَطَرُّفَ في عدسة علم النفس الاجتماعي هو ذهنيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ على تطوُّر «صورة الذات»، و«النظرة إلى الآخر»، فَصورة الذات هي المرسة (Roth and Steffens, 2014)، ومنها تنطلق عمليَّتا: بناء النظرة إلى الآخر وتقويمه، وقولبة الذات والآخر ضمن فئتي: «النحن»، و«الهم»<sup>1</sup>، حيث يُصبح التَطَرُّفُ عمليَّة إعادة صياغة للهويَّة الذاتية، وإعادة بناء للواقع الاجتماعي (Al Raffie, 2013). إنَّ جُذور الفجوة بين «النحن»، و«الهم» مُترسِّخة في الاختلافات، في الإدراك، والمواقف بين الجماعات (Sahar, 2014) التي تُسهم عدَّة عوامل (التربية الأسريَّة والمدرسيَّة، التثنيَّة الاجتماعيَّة والدينيَّة، إضافة إلى الإعلام) في تعزيزها وترجمتها إلى مُمارسات اجتماعيَّة تمييزيَّة ضدَّ الآخر.

تُشير الأبحاث في العوامل المؤديَّة إلى نشأة التَّفكير المُتَطَرِّف إلى أنَّ أبرز تلك العوامل هي التي تتعلَّق بالدين (Staub, 2011)، ويستخدمُ الدين بوصفه أداة سيطرة وضبط وتحريض ضدَّ الآخر بِخاصَّة في الطُروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة غير المُستقرَّة<sup>2</sup>، ويقول «كونزن» (ترجمة رضوان، 2010) أن «ليس هناك من شيء يمكن استثارته في أوقات الأزمة مثل جرح المشاعر الدينيَّة (...)، وليس هناك من صورة للعدوِّ يمكن تشويها أكثر من رميها بالكفر، أو الإلحاد»<sup>3</sup>.

إنَّ وصف التَطَرُّفَ «بالذهنيَّة»<sup>4</sup> ليس بالحديث؛ إذ إنَّ مفهوم «الذهنيَّة المُتَطَرِّفة» بدا واضحًا في النَّصِّ الأساس للميثاق التأسيسي لِمُنظَّمة الأمم المُتَّحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) في العام 1945م، حيث وَرَدَ أنَّ «الحروب تولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تُبنى حُصون السَّلام»<sup>5</sup>.

1- Al Raffie, 2013; Korte, 2007; Oakes and Turner, 1980; Tajfel, 1982; Tajfel and Turner, 2004.

2- حليم بركات، الهويَّة: أزمة الحدائثة والوعي التقليدي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2004م، 298-301.

3- كونزن، التعصّب: التحليل النفسي لظاهرة مرعبة، ترجمة: سامر جميل رضوان، مجلة شبكة العلوم النفسيَّة العربيَّة (25-26)، 2010م، ص9.

4- Borum, 2003; Hogg, 2014; Saucier et al., 2009.

5- UNESCO, 2020, p.5.

سعى الباحثون المعنيون بالتطرف إلى دراسة نماذج مُختلفة من التطرف لاستخراج محاور مُشتركة تسمح بالربط بينها؛ بهدف صياغة نموذج موحد للذهنية المتطرفة (Saucier et al, 2009). وبما أن مفهوم التطرف مُرتبط بموضوع الهوية الاجتماعية للمرء فإن الطريقة الأفضل لتناول موضوع الذهنية المتطرفة هي من خلال التعمق في دراسة الخصائص المُشتركة في «صورة الذات»، و«النظرة إلى الآخر» بين أنواع مختلفة من التطرف.

تكمن الأهمية النظرية لهذه الدراسة في المقاربة النفس - اجتماعية لفهم التطرف انطلاقاً من زاوية مُحددة («صورة الذات»، و«النظرة إلى الآخر») ضمن إطار نفسي - اجتماعي بعيداً من التحليل الظرفي للبيئة المُهيئة للفكر المتطرف. أما بالنسبة إلى الأهمية العملية التطبيقية، فإن التعمق في دراسة الخصائص النفس - اجتماعية لـ «صورة الذات» و«النظرة إلى الآخر» كما تتجلى في خطاب تنظيمات متطرفة من حقب تاريخية، وأماكن مختلفة من العالم قد يُسهّل عملية استخراج الخصائص النفس - اجتماعية للخطاب التقيض للخطاب المتطرف؛ أي تحديد ملامح الذهنية اللا - متطرفة، وهي الملامح التي ينبغي أن تُشكل الأهداف الرئيسية لأي برنامج وقائي، أو تدخل لدرء التفكير المتطرف.

لقد اخترنا ثلاثة عينات من تنظيمات متطرفة؛ تُمثل ثلاث مجتمعات من التطرف في حقب زمنية وبُقع جغرافية مختلفة من العالم، وهي:

1. التطرف العرقي

2. التطرف الإثني

3. التطرف الديني

أما مجتمع بحث التطرف العرقي؛ فهو يتمثل بالأحزاب اليمينية العرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تؤمن بتفوق العرق الأبيض على غيره من الأعراق، وتعارض بشدة السياسة الليبرالية المُطالبية بالمساواة بين الأعراق. وتُناشد معظم تلك الأحزاب بالتمييز العنصري، وتُشرعن أي عمل يقوم به الفرد دفاعاً عن النفس والعائلة، حتى لو كان عملاً إرهابياً (Johnson, 2012)، وهي تستخدم الرموز «الصليبية» في حملاتها الدعائية على صفحات التواصل الاجتماعي (Koch, 2017). أما العينة عن مجتمع بحث التطرف العرقي التي تم اختيارها للدراسة

فهي جماعة «الكو كلوكس كلان» (Ku Klux Klan)؛ وهي جماعة تأسست في العام 1866م، ونشّطت على مدى 151 عامًا في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، ولقد نفّذت عمليّات اتّسمت بالوحشيّة العنصريّة (حرق، اغتصاب، تدمير مُمتلكات، شنق) ضدّ المُواطنين السُّود. أعادت الجماعة تنظيم نشاطها العنصريّ في العام 1915م، مُعلنةً تمسُّكها بتفوق العرق الأبيض البروتستانتيّ، ومُستهدفةً الكاثوليك واليهود والمهاجرين إلى جانب السُّود. أمّا اليوم فلقد رأت الجماعة في خطاب الرئيس الأميركيّ الأسبق «دونالد ترمب» فرصةً للعودة إلى الشّارع، والتعبير العَلنيّ عن عقيدتها العنصريّة ضدّ المهاجرين والمُسلمين والسُّود<sup>1</sup>.

أمّا مجتمع بحث التطرّف الإثنيّ فهو يتمثّل بالأحزاب اليمينيّة المتطرّفة الصهيونيّة، والتي تتسمّ بكَراهيةٍ شديدةٍ للفلسطينيّين العرب، وتُنادي بإخراجهم من «إيريتز يزرايل» (أرض إسرائيل التاريخيّة)، وهي تضمّ أحزاب ومجموعات منها ما تمّ حلها على أنّها تنظيمات إرهابيّة، ومنها ما لا يزال فاعلاً حتى اليوم بتسميات ومناهج مختلفة. تشمل تلك المِظلة العديد من الأحزاب والحركات المُنبثقة عن العقيدة «الصّهيونيّة التصحيحيّة» التي أسسها جابوتينسكي، والتي اقترنت بالحملات المُتكرّرة لإنشاء المستعمرات اليهوديّة، والنشاطات الإرهابيّة ضدّ الفلسطينيين العرب<sup>2</sup>، وهدفها المركزيّ هو المحافظة على «أرض إسرائيل الكاملة» ضمن السّيادة الإسرائيليّة، وترحيل الفلسطينيين العرب<sup>3</sup>. أمّا العيّنة عن مجتمع بحث التطرّف الإثنيّ التي تمّ اختيارها للدراسة فهي حزب «كاخ» الصهيونيّ اليمينيّ، وهو الحزب الذي أسسه الحاخام «مئير كهان» في العام 1968م، مُركّزاً على تعاليم جابوتينسكي. يتّسم حزب «كاخ» بكَراهيةٍ شديدةٍ للفلسطينيّين العرب، ولقد حدّد «كهان» حركته بهدفين أساسيين، أولهما نقلهم إلى خارج أرض إسرائيل التاريخيّة، وآخرهما تطبيق أحكام الشّريعة العبريّة تطبيقاً كاملاً في دولة إسرائيل<sup>4</sup>. ويتلخّص موقف «كهان» المُتطرّف بمُطالبته «بطرّد العرب الآن، وتدمير الإرهاب

1- Akins, 2006; McVeigh, 2009; Newton, 2010; Parsons, 2015; Perliger, 2012.

2- أحمد خليفة، حركة كاخ في المشهد السياسيّ الإسرائيليّ. مجلة الدّراسات الفلسطينيّة، المجلد 5، العدد 18، 1994م، 186-201.

3- المصدر نفسه.

4- المصدر نفسه.

الفلسطيني اليوم، وإسقاط الحكومة غدًا» (Sprinzak, 1989, p.186). هذا ولقد أقرت المحكمة الإسرائيلية العليا تنظيم «كاخ» تنظيمًا إرهابيًا، وتم حله رسميًا عام 1994 (Acosta, 2014). أمّا اليوم، فعلى الرغم من أن الأفكار التي طرحها تنظيم «كاخ» هي خارج نطاق الخطاب الإسرائيلي المقبول، لا يزال تلامذة «كهان» يمارسون المناورات السياسية من خلال سعيهم لاستعادة حقهم بالمشاركة في انتخابات «الكنيست» (Harkov, 2019; Hanania, 2019).

أمّا مجتمع بحث التطرف الديني فهو يتمثل بالتنظيمات الإسلامية السلفية الجهادية التكفيرية التي برزت مع انتشار كتب «ابن تيمية» وفتاويه، في أواخر القرن الثالث عشر، وارتباط الحركة الوهابية بها في الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر، إضافة إلى عقيدة «سيد قطب» الثورية<sup>1</sup>. يتسم تيار التطرف الإسلامي السلفي الجهادي بالتشكيك في التيارات الدينية الأخرى (جميع الديانات)، والادعاء بفساد عقائدها، مُتَبَيِّنًا «عقيدة جهادية قتالية» ومُكفِّرًا<sup>2</sup>، كل من «شرع من دون الله بغير ما أنزل الله»<sup>3</sup>؛ أي أهل «الجاهلية»، وهم دعاة الديمقراطية، والعلمانية، والاشتراكية<sup>4</sup>. أمّا العينة عن مجتمع بحث التطرف الديني التي تم اختيارها للدراسة فهي تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (المعروف باسم داعش) الذي يهدف إلى تطبيق الشريعة وإحياء الخلافة الإسلامية عن طريق العنف ضمن عنوان الجهاد<sup>5</sup>. وتعود نشأته إلى العام 2006م، إثر مقتل أبي مصعب الزرقاوي، زعيم تنظيم «القاعدة»، واختيار أبي عمر البغدادي أميرًا لتنظيم «دولة العراق الإسلامية». وبعد مقتل الأخير، تم إعلان أبي بكر البغدادي في العام 2013م أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية»، وراح يتوسع إلى

1- عبد الغني عماد، الإسلاميون بين الثورة والدولة: إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013م.

2- أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، 2004م، ص 920.

3- المصدر نفسه، ص 913.

4- محمد علوش، داعش وأخواتها: من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2015م.

5- فؤاد إبراهيم، داعش من النجدي إلى البغدادي: نوستالجيا الخلافة، مركز أوال للدراسات والتوثيق، بيروت، 2015م، ص 116.

الشام ليُصبح الاسم الجديد للتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام». ويُعدُّ تنظيم «داعش» نموذجًا حيًّا لمنهج تيار الجهاد العالمي، وهو مبني على الميزات الأربعة الآتية: تطبيق الشريعة الإسلامية دون مُواربة، ورفض الديمقراطية، وامتلاك القوة من طريق الجهاد، والتحرُّر من قيود القوميات والحدود التي تفتت قوة الأمة الإسلامية<sup>1</sup>.

لقد تمَّ اختيار تلك العيّنات الثلاث بالطريقة القصديّة، اعتمادًا على معيارين، هما:

الأول: أن تكون الحالة مُتجدّرة في الماضي، ولها استمراريّة ظاهرة (من خلال العمل الإرهابيِّ مثلاً)، أو كامنّة (من خلال التحريض المُقنّع، أو المناورة السياسيّة مثلاً) في الحاضر.

الثاني: أن تكون الحالة مُمثّلة - إلى حدِّ كبيرٍ - لمِظلة التيار المُتطرّف التي انبثقت عنه.

## تحليل البيانات

إنّ البيانات المُستخدمة في هذه الدراسة مُستقاة من مجموعة الكُتب والمَقالات الأصليّة التابعة لكلِّ من حالات الدّراسة الثلاث، وهي:

1. كتاب «صحوتي» لديفيد ديوك
2. كتاب «يجب أن يرحلوا» للحاخام مثير كهان
3. اثنا عشر عددًا من مجلّة «دابق» الناطقة باسم تنظيم «داعش» تتكوّن البيانات من وُحدات لُغويّة (جملة، أو فقرة كاملة) استُخرِجت من الكتب والنُصوص المُشار إليها أعلاه، ولقد استطنا استخراج عيّنّة من 109 إلى 133 وحدة لُغويّة من كلِّ من الحالات الثلاث.

وقد تمَّ تنظيم جميع البيانات ضمن إحدى المجموعتين:

1. صورة الذات
  2. النّظرة إلى الآخر
- ومن ثمّ؛ ترميزها حسب الخصائص النّفس - اجتماعيّة لكلِّ من المجموعتين. وكنا قد قمنا باستخلاص تلك الخصائص من النّظريّات والأبحاث والنّماذج

1- محمد علوش، داعش وأخواتها: من القاعدة إلى الدولة الإسلاميّة، مصدر سابق.

السابقة في موضوع التطرف، حيث استطعنا إنشاء خمسة وحدات تحليلية عن صورة الذات، هي:

1. تمجيد الماضي
  2. تقديس القضية وتأييدها
  3. الذات المضطهدة
  4. الشعور بالفوقية
  5. النظرة إلى المستقبل
- وخمس وحدات تحليلية عن النظرة إلى الآخر هي:

1. تحقير الآخر
2. واجب الانتقام من الآخر
3. الآخر الظالم
4. تحقير النظام القائم
5. سُبُل التغلب على الآخر

في مرحلة التصنيف المفتوح، تم توزيع البيانات المرمزة حسب الوحدات التحليلية على كل من التنظيمات المتطرفة الثلاث، وفي مرحلة التحليل المحوري، تم بناء شبكة محورية تبين المحاور المشتركة بين البيانات المصنفة، وتسمح بتحليل العلاقات بين مختلف المحاور.

لتأمين معايير الصدق والثبات والموثوقية، قمنا بتطبيق تقنية «التثليث البياني»، حيث استخدمت أكثر من وثيقة واحدة من كل من عينات البحث الثلاث للتأكد من ثبات الأفكار في أكثر من عينة بحثية، إضافة إلى تقنية «التثليث البحثي»، حيث تم الاستعانة بإحيتين مستقلتين، إضافة إلى الباحث الأساس للقيام بمهام ترميز البيانات وتصنيفها ضمن محاور، وربط المحاور فيما بينها.

### ملخص نتائج تحليل صورة الذات

بينت عملية التصنيف المفتوح للبيانات المندرجة ضمن مجموعة «صورة الذات» أن الخصائص النفس - اجتماعية في خطاب كل من التنظيمات المتطرفة الثلاث: (التطرف العرقي، والتطرف الإثني، والتطرف الديني) متطابقة ومُشتركة - إلى حد كبير - من تنظيم إلى تنظيم، بغض النظر عن الإطار العقدي، والجيو-

سياسي، والتاريخي الخاص بكل تنظيم. وفي ما يلي تلخيص لأبرز ما ورد في التحليل.

### 1. تمجيد الماضي:

يُعدُّ تمجيد الماضي من إحدى أهم خصائص الخطاب المُتطرّف، ولقد لمسناه بوضوح في خطاب ديفيد ديوك الذي يُنادي بالعودة إلى زمن هيمنة العرق الأبيض على باقي الأعراق، وفي خطاب داعش الذي يدعو إلى إعادة وجود الأمة الإسلامية لقيادة البشرية، وفي خطاب كهان الذي يقول: إن دولة إسرائيل اليهودية هي تحقيق الحلم اليهودي الصهيوني وعمره ألفي 2000 عام، و«إن الصهيونية هي حركة التوق اليهودي للعودة إلى وطنهم، وذلك الشوق بدأ، ليس مع «هرتزل» في العام 1897م، ولكن مع سلفه الأكبر الذي بكى عند تدمير الهيكل الثاني في العام 70». ولقد ربط المحللون النفسيون تمجيد الماضي بالترجيبة الجماعية المبنية على حاجة المرء إلى تمجيد قوة الجماعة وعظمتها التي ينتمي إليها، بما فيه عظمتها التاريخية. يُستخدم تمجيد الماضي بوصفه إستراتيجية لتقوية إيمان المُلتزمين وولائهم بقضية الجماعة، فتمنحهم صورة بَرّاقة عن تاريخهم، ويتكوّن في ذهنيهم نوع من النوستالجيا الجماعية لأمجاد الماضي، ودافع قوي لاسترجاع تلك الأمجاد.

### 2. تقديس القضية :

يتمُّ في التفكير المُتطرّف تقديس القضية من أجل تسويق كل الوسائل المُستخدمة للدفاع عنها؛ إذ إنَّ رِبَطَ فعل القتل بمعانٍ إلهية يُعطي الفعل دوافع مُحقّقة وسامية. يقول ديفيد ديوك أن «الله هو من خلق الأعراق المختلفة، ومنحها خصائص مختلفة، وسلوكيات مختلفة، وقدرات عقلية مختلفة، لا بل فصل بينها»، ويركّز على قدسية قضية الدفاع عن حقوق البيض التي يقول: إنها أصبحت مهدورة في ظل قيام النظام الديمقراطي الذي يناشد بالمساواة والاندماج بين جميع الأعراق. ويقول كهان: «أخذ الشعب اليهودي على عاتقه عبادة الله، وتطبيق شرائعه (...)، اختارهم الله ليكونوا شعبه الفريد»، وبالنسبة إلى داعش، فهو يُسوِّغ العنف والقتل بالاستناد إلى فكرة القوة الإلهية: «سوف يُطهر الله دابق من الخونة، ويرفع راية الخلافة فيها».

### 3. الذّات المُضطّهدة:

يقول أرينا وأريغو (Arena and Arrigo, 2005) أنّ المشكلة الأساسيّة لدى المُتطرّفين العرقيّين البيض في الولايات المتّحدة هي أنّهم يحسبون أنّ نسلهم الآري في خطر الزوال؛ بسبب التدفق السّريع لِغَير البيض في بلدهم، وازدياد الاندماج العرقيّ، فيشعرون أنّهم عُرضة للتّمييز العنصريّ، وأنّهم فقدوا حقّهم بالتعبير عن اعتزازهم بإرثهم العرقيّ الأبيض. يصفُ بوروم (Borum, 2014) ذلك الشّعور بِـ «البارانويا» وهو مُرتبط بشكل جوهريّ بحاجة الإنسان إلى الانتماء إلى المجموعة، ومن ثمّ؛ للدّفاع عنها، والمُطالبة بحقوقها في وجه الآخر الظالم، إضافةً إلى ارتباطه بحاجة الإنسان إلى إيجاد معنىً وهدفًا لحياته. يقول ديفيد ديوك: «لقد واجه العديد من العُلماء والشخصيات العامّة صعوبات كبرى، وحتى قمع جسديّ؛ لأنّهم عبّروا عن آرائهم حول التّروقات العرقيّة»، وفي إطار التطرّف الإثني ضدّ العرب، يقول كهان: «كلّ يهوديّ كان مُرشحًا للقتل. رأيت شهوة القتل تحترق في عيونهم. أتت شعارات من جميع الجهات تُطالب بتصفية إسرائيل، وبيادة جميع اليهود»، ونقرأ في «دابق»: «حان الوقت لِأمة محمّد ﷺ أن تستفيق من نومها، وتنزع ثياب العار، وتنفض غُبار الدُّلّ عنها».

إنّ الشّعور بالظلم والإذلال من العوامل النفسيّة الأساسيّة في فهم مشاعر الكراهية التي تستفحل عند المُتطرّف تجاه الآخر، وتدفعه إلى إلقاء اللوم عليه ومن ثمّ؛ تسويغ العنف ضده. وهنا تلتقي صورة الذات المُضطّهدة بالنظرة إلى الآخر؛ بحيث يُصبح الشّعور بالاضطهاد مُسوِّغًا، أو دافعًا للعنف، ويصبح الانتقام من الآخر واجبًا على الإنسان المُتطرّف.

### 4. الشّعور بالفوقيّة :

تقول الرّافي (Al Raffie, 2013) أنّ نجاح مساعي التّجنيد لدى المنظمات المتطرّفة يعتمدُ على قدرتها على منح الأفراد معنىً مُميّزًا لهويّتهم وذلك من خلال تصوير التّظيم على أنه متفوّق على الآخرين. ولقد وصف داكيت وسيلي (Duckitt and Sibley, 2007) وكتيلي وآخرون (Kteily et al., 2015) التّفكير الهَرَمي لدى المتطرّفين في إطار علاقاتهم الاجتماعيّة؛ بحيث إنّهم يحسبون أنّ مجموعتهم هي الأجدر بالهيمنة الاجتماعيّة على بقيّة المجموعات. فهذا الشّعور بالفوقيّة ينبع من النرجسيّة الجماعيّة التي تمنح أفراد المجموعة إحساسًا بالتفوّق

والتمييز عن الآخرين (Falk, 2004). يقول ديوك: «إن طابعا العرقي المُميّز هو المسؤول عن كل الابتكارات العلميّة والفنيّة في الحضارة الغربيّة، تلك الحضارة التي ممكن وصفها بأنها حضارة عالميّة؛ لأن كل إنجازاتها التكنولوجيّة والسّياسيّة والفنيّة اجتاحت وسيطرت على العالم»، ويقول كهان: «إن اليهود شعباً فريداً من حيث إنهم ديناً وأمةً في الوقت نفسه، إنهم يُشكّلون أمةً دينيّةً، عاشوا بوصفهم مجتمعاً وثقافةً فريدة في أرضها - أرض إسرائيل»، ونقرأ في «دابق»: «إن الله مَنَحَ إمامَ الدولة الإسلاميّة بركة القيام بالهجرة والجهاد من أجله تعالى إضافة إلى كونه ينتمي إلى سُلالة نبيلة، ويتمتع بعقلٍ سليم، ودرجة مرموقة من المعرفة والممارسة الدينيّة».

تعكس هذه الأقوال توجّه التنظيمات المُتطرّفة نحو «الهيمنة الاجتماعيّة»، وهي إحدى المُكوّنات الأساسيّة للتفكير المُتطرّف، وهو توجّه يهدف إلى المُحافظة على سيادة المجموعة وقوّتها وتفوّقها. وهنا أيضاً تلتقي صورة الذات المُتفوّقة مع نظرة تحقيريّة إلى الآخر تتّرافق بسلوك مُهين ومُذلل ضده.

### 5. النّظرة إلى المستقبل:

إن التفكير المُتطرّف، حسب تحليل سوسييه وآخرون (Saucier et al 2009) لمجموعة كبيرة من خطابات تنظيمات مُتطرّفة من مختلف أرجاء العالم يتميّز بنظرة مزدوجة إلى المستقبل، فمن ناحية هي نظرة مثاليّة من نوع اليوتوبيا (utopia)، حيث نلمس دعوة إلى مستقبل براقٍ يسترجع كل أمجاد الماضي. ولقد تجلّت تلك النّظرة في خطاب ديوك حين يقول: إن التطوّر الجيني للعرق الأبيض أدى إلى إنجازاتٍ عظيمة لتاريخ الإنسانيّة، وإنّ المُحافظة على تلك الجودة الجينيّة تُقدّم أملاً كبيراً للمستقبل، و«هو مستقبل رائع وبُطوليّ، وهو يلمع كالنجوم السّاطعة في ليلة صافية» و«في الصّراع بين دور الوراثة ودور البيئّة، سوف تُسود الوراثة على المدى البعيد». ونقرأ في «دابق» أنّه «سوف يأتي اليوم، بإذن الله، حيث يسير المُسلم في كل مكان كالقائد، مُشرفاً ومُحتزماً، رأسه عالٍ وكرامته مُصانة»، أو أنّه قريباً - بإذن الله - سوف تروُن راية «لا إله إلاّ الله» تُرفرف فوق قصر «الإليزي». في الوقت ذاته، هناك صورة كارثيّة للمستقبل يبثّها التنظيم المُتطرّف في أذهان المُنتسبين إليه، وكأنها تحذير وُجوديّ لكيانهم وكيان القضيّة التي يعملون من أجلها. يقول ديوك: «إن تحويل أميركا من أمة بيضاء إلى أمة مُتعدّدة الأعراق والثقافات سوف

يؤدّي إلى تفاقم العنصريّة والنزاعات»، و«إمّا أن نعرّف بالعرق والقوى الكامنة في جيناتنا، ونسير قُدماً نحو عهدٍ جديدٍ، وإمّا نقع في الهاوية، ولن نصعد أبداً». في الإطار ذاته، يقول كهان: «إن الطوفان آتٍ، وهو آتٍ في وقت أقرب ممّا نعتقد. هذا الجيل من العرب يشعر بالحرارة الحارقة التي ستصبح فيضان النار الرهيب. السؤال هو: كيف يمكن أن نجلس ولا نتخلّص من العرب الذين يسعون إلى تدميرنا من الدّاخل؟».

### ملخص نتائج تحليل النظرة إلى الآخر

يشير مُصطلح «الآخر» إلى أيّ فرد، أو مجموعة لا ينتميان إلى المجموعة التي ينتمي إليها الإنسان المتطرّف، من ناحية أولى عدم تحليهما بالميزات والمعايير الخاصّة بمجموعته، أو عدّهما يتناقضان بشكل واضح مع معتقداته ومبادئه من ناحية أخرى. وتختلف هويّة «الآخر» من حالة إلى حالة، فبالنسبة إلى جماعة «الكوكلوكس كلان» يشمل «الآخر» ذوي البشرة السوداء، إضافةً إلى النظام الأميركي الديمقراطي الداعي إلى المساواة بين جميع فئات الشعب الأميركي والاندماج العرقي. وبالنسبة إلى تنظيم كاخ، يشمل «الآخر» الفلسطينيين العرب، إضافة إلى فئة اليهود الداعين إلى السّلام مع العرب والديمقراطيّة واحترام حقوق الأقليّات. أمّا بالنسبة إلى تنظيم داعش، فيشمل «الآخر» كلّ من لا يبايع دولة الخلافة الإسلاميّة.

بيّنت عمليّة التصنيف المفتوح للبيانات المندرجة ضمن مجموعة «النظرة إلى الآخر» أنّ الخصائص النفس - اجتماعيّة في خطاب كلّ من التنظيمات المتطرفة الثلاث متطابقة ومُشتركة إلى حدّ كبير من تنظيم إلى تنظيم بغضّ النظر عن الإطار العقديّ والجيو-سياسيّ والتاريخيّ الخاص بكلّ تنظيم. وفي ما يلي تلخيص لأبرز ما ورد في التحليل.

#### 1. تحقير الآخر:

إنّ تجريد الآخر من إنسانيّته هو انتهاك صارخ لإيماننا في الإنسانيّة المُشتركة بين كل أفراد المُجتمع، وقد يتجلّى هذا السلوك بشكل واضح، أو بشكل خفيّ (Haslam and Loughnan, 2014). يلجأ الإنسان المتطرّف إلى تحقير الآخر لتسويغ العمل

العِدائِيّ تِجَاهَهُ بِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا يُعَدُّ الْآخِرَ تَهْدِيدًا لِأَمْنِهِ الشَّخْصِيّ وَالْجَمَاعِيّ<sup>1</sup>. كانت عملية تحقير الآخر واضحة في خطاب ديوك من خلال استخدامه مسألة الفروقات الجينية بين البيض والسود؛ لإبراز نسب الذكاء المُتدنية لدى ذوي البشرة السوداء: «إنهم شبه طفوليين وبيدائيين في تأرجحهم الدراماتيكي بين مختلف العواطف فيضحكون بسرعة، ويغضبون بسرعة، ويذرفون الدموع لِأَتْفِهِ الظروف»، وأنهم يحصلون «على نتائج أفضل في المهارات اللغوية لاختبارات الذكاء، مقارنة بالمهارات المتعلقة بالقدرات الفكرية المُجرّدة»، ويتساءل «هل هي مُجرّد صدفة أن يتمييز ذوي البشرة الأقل سوادًا من بين السود بنسب أعلى من التفوق الأكاديمي والعلمي عن غيرهم من السود؟ هل من الممكن أن تكون الجينات البيضاء في تكوينهم هي المسؤولة عن جعل ذكائهم أقرب إلى ذكاء البيض؟». أمّا كهان فإن نظرتة إلى الآخر (عرب فلسطين) تميّز بالتحقير والسخرية، بِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا يَصِفُ جيل العرب القديم، جيل العشائر المُحافظة التقليدية، وينعتهم بالفاسدين: «إنهم لا يهتمون إلا برفاهيتهم ومصالحتهم، فمن أجل المال والوعد بالسلطة المحليّة، كانوا مستعدين لمنح اليهود ما يريدون: تصويت الكنيست والاستسلام. طبعًا، إن كبار السنّ من بينهم كانوا يكرهون اليهود، لكن شعارهم في الحياة هو أين هي مصالحتي؟» ويبرز تحقير كهان للعرب من خلال سخريته في هذا الوصف: «إنه عربيّ إسرائيليّ ال1948، الفلاح الجاهل الأمّي، الذي كان مُكتفياً بزوجه، أو زوجاته، وأطفاله، وخرافه، وحقله، ودينه. كان ذلك كل ما يحتاجه، وكان يتوقع أن يتبع ابنه أسلوب حياته تمامًا، كما اتبع هو أسلوب والده الذي اتبع أسلوب والده». أمّا بالنسبة إلى داعش، فلقد اتخذت عملية تحقير الآخر منحى آخر اتسم بشيطنته وتكفيره، كما نرى في الأقوال التالية التي وردت في مجلّتهم «دابق»: «اليزيديون هم كفّار من عبدة إبليس، وإن فقهاء النظام الملكيّ (السعودي) هم مُجرّد عبيد للطاغوت (...). ومنارات الكفر، مُنادون بأبواب جهنم، يرشدون الجَهْلَةَ من خلال محاضراتهم وفتاهاهم المُضلّلة الخادعة، إنهم يُنفذون الشّرك في حكم الله، يسمحون الحرام، ويمنعون الحلال»، أو «إن الأمة الصليبيّة تحالفت مع الشيطان».

1- Borum, 2010; Haslam, 2006; Haslam and Loughnan, 2014; Kteily et al., 2015; Kteily et al., 2015; Saucier et al., 2009; Staub, 2011.

## 2. واجب الانتقام من الآخر:

يقول ستانكوف وآخرون (Stankov et al., 2010) أن التفكير المتطرف يُناشد باستخدام العنف تجاه الآخر الذي يعدُّ مصدرَ إذلاله وإذلالِ مجموعته، ففي تلك الحال يُعدُّ الانتقام من الآخر واجباً وفضيلةً. يرتبط واجب الانتقام من الآخر بعملية تحقير الآخر من ناحية، وبالنظرة إلى الآخر على أنه ظالم من ناحية أخرى. لقد لمسنا ذلك الترابط بوضوح في الخطاب الداعشي في مجلة دابق (سوف نضرب عنق الذي يحاول اغتصاب قيادة إمامنا بعون الله تعالى وإنها الدولة الإسلامية، أو الفيضان، وهو عقاب الذين تنكروا لرسول الله، وعقابهم جهنم في يوم الحساب). وفي خطاب كهان (طبعاً لئن توافق إسرائيل على مطلب العرب للاستقلالية وستكون المعارك دموية ومروعة بالقنابل والرصاص وإنها بداية غضب الله، وانتقامه من الأمم التي تجاهلته، وأهانته، والتي لم تعرفه. لكنها البداية فقط. كيف سيكون الفداء النهائي، ومتى، إن ذلك يعتمد على اليهودي). تندرج الرغبة الانتقامية من الآخر ضمن الانشطار الحاصل في ذهنية الإنسان المتطرف بين الحق والخطأ، والخير والشر، فيصبح الانتقام من العدو واجباً؛ بل يتحوّل إلى فضيلة في سُلّم القيم الأخلاقية للمرء.

## 3. الآخر الظالم:

وتنقّت العديد من الدراسات في علم النفس الاجتماعي الدور الجوهرية الذي يؤديه الشعور بالتهميش، والظلم، والاضطهاد لدى المرء في مجتمعه في نشأة الذهنية المتطرفة (Silke, 2008)، واعتناق المرء عقائد متطرفة تعده بالخلاص، والعيش الكريم. استخدم مُعدّم (Moghaddam, 2005) استعارة «السلم» لتبيان كيفية تحوّل الإنسان الاعتيادي المقهور الغاضب إلى إنسان متطرف، حيث تترافق عملية صعود «سُلّم التطرف» هذا بعمليات نفس - اجتماعية تتمحور حول صورة الذات، والنظرة إلى الآخر، وتتغذى بمشاعر التهميش، والقهر، والغضب كلما استدرك الفرد قلة الفرص المتاحة أمامه لتحقيق أهدافه، وتتأثر بما يتلقاه من الخارج (المادة التي تُقدّمها له وسائل الإعلام، وتأثير التنميط الاجتماعي، والتهميش الذي يختبره من قبل الآخرين، إضافة إلى تواجد تنظيم متطرف يُحاكي مشاعره، ويؤمن له فرص التحرر من الظلم والقهر). يؤدي ذلك، في الذهنية المتطرفة، إلى انشطار العالم إلى محورين: محور الداخل، «النحن»، والخير، ومحور الخارج، «الهم»، الشر (Silke,

(2008). نلمس هذا الانشطار بين الخير والشر بشدة في الخطاب «الداعشي»: (تابع النظام عدوانه على مدينة الرقة بغارة جوية استهدفت السوق الشعبية، وأدت إلى ثلاثين شهيد، وإصابة ستة وثلاثين امرأة وطفل، والرسول الذي سوف يعطي الضربة القاضية للدجال وأتباعه، اليهود الملعونين الذين عرف تاريخهم بالخيانة، وحتى يقتل أنبياء الله، أو نكرهكم بسبب جرائمكم ضد المسلمين؛ فطائراتكم تقذف وتقتل شعبنا حول العالم، وعملاؤكم في الأراضي المعتصبة تقمع، وتعدب، وتقتل أي شخص ينادي بالحقيقة). كذلك، تتجلى معالم الآخر الظالم في خطاب كهان: «استعدوا. قريباً ستجبرون على الخروج من منازلكم. سيستولون على منزلك ومنازل جميع يهود الجليل»، و«نظر اليهود من التوافذ ليروا مئات العرب يتبعون الشيخ وهو يكلمهم: أنتم أيها المسلمون! إذبحوا اليهود! اشربوا دماءهم! اليوم هو يوم الإسلام! هذا هو يوم النبي»، و«إن وجود عدد كبير ومُتزايد من السكان العرب المُعادين يكفي لتحويل الجليل إلى مشهدٍ دام ودائم للمواجهة». أما بالنسبة إلى ديفيد ديوك فهناك ازدواجية في نظره إلى الآخر الظالم، فهو من جهة الرجل الأسود المجرم الذي يهدد الرجل الأبيض البريء؛ (وقع الآلاف من الرجال والنساء الأطفال البيض ضحية لجريمة السود التي اجتاحت المدن الأمريكية الكبرى، مثل: وباء القرون الوسطى)، ومن جهة أخرى، يرى ديوك في النظام الديمقراطي الداعي إلى المساواة بين الأعراق في أميركا كل صفات الظلم والاضطهاد. ويصوّر ذوي البشرة البيضاء على أنهم ضحايا لهذا النظام القامع؛ (كانوا على استعداد للذهاب إلى أقصى الحدود تقريباً لهزيمتنا. ولقد سيطروا بقوة على المعلومات من خلال وسائل الإعلام، وأصبح السياسيون مدينين لهم؛ بسبب تغطيتهم الإعلامية لمصلحتهم، وحملات التبرع لحملاتهم الانتخابية. أما الذين هم من أمثالي؛ أي كل من خرج عن منظومتهم السياسية، فلقد كنا نُشكل تهديداً تعاملوا معه أولاً عن طريق الرقابة، ثم من خلال اغتيال الشخصية. وإذا فشلت تلك الإجراءات، قاموا باستخدام ما استخدمه كل نظام مُستبدّ عبر التاريخ للمحافظة على سيادته: القانون وعملائه).

#### 4. تحقير النظام القائم:

رأى سوسيه وآخرون (Saucier et al., 2009) في دراستهم التي تناولت المحاور المشتركة في خطاب مجموعة كبيرة من التنظيمات المُتطرفة الإرهابية في

بلدان وقارّات مختلفة أنّ تحقير النّظام القائم هو من أهم تلك المحاور؛ لأنّه يُجرّد النّظام من شرعيّته، ويمنح ذلك زخمًا أكبر للتّظيم ويُسرّعه. نلاحظ ذلك بشدّة في الخطاب «الداعشيّ»: «هذه هي نتيجة التفكير العَلَمانيّ الَّذِي يجتاح عقولَ النَّاسِ في عصرنا هذا، الدّاعي إلى الفصل بين الدّين والدولة، وبين الشريعة والحكومة، مُعتقداً القرآن كتاب ترانيم وتلاوات بدلاً من كتاب حوكمة وتشريع وتطبيق»، و«إنّ الديمقراطية هي نوع من الوثنيّة تُعطي السُلطة الكبرى والأعظم إلى الشعب بدلاً من الله، وجزء من هذه الديمقراطية هو ما يُسمّى بحقوق الإنسان، وما تشمله من الحق في الكفر، والإلحاد، واللواط، وعبادة الشيطان». أمّا في خطاب كهان، فيتّسم تحقير النّظام القائم بالسُّخرية من نهج «هرتزل» الَّذِي يصفه بالسّذاجة قائلاً: «كان يعتقد على ما يبدو أنّ المرء يشتري وطنًا بنفس الطريقة الّتي يشتري بها المرء منزلاً، أو مصنّعاً!»، أو «بدا أنّ جنون العمى قد أصاب حتّى أحد الشخصيات الإسرائيليّة الأكثر إشراقاً!». كذلك يسخر ديوك من دُعاة المساواة العرقيّة: «كيف يؤمنون حقًا بالمساواة العرقيّة، ومن بين الدّين وقّعوا وثيقة إعلان الاستقلال من كان يملك العبيد السود، أمثال: توماس جيفرسون؟ فماذا عن حقوق «العبيد» الّتي لا يمكن استباحتها؟ وهل كان الآباء المؤسّسون منافقين؟».

«من السُّخرية أن نجد القدر الأكبر من الدّعم لفكرة المساواة بين السود والبيض في المناطق، حيث يطغى التواجد الأبيض، والقدر الأكبر من التشكيك في فكرة المساواة في المناطق، حيث يطغى التواجد الأسود».

هذا ولقد لمسنا صيغةً ثانيةً في طريقة تحقير النّظام القائم وهي مبنيّة على:

1. تشويه نوايا ذلك النّظام وأفعاله بشكل يُبرزُ ظلمه واضطهاده للمعارضين له

2. تصوير المعارضين وكأنّهم الضّحيّة البريئة لذلك النّظام الظالم

يقول ديوك: «إنّ المجتمع الأميركيّ التقليديّ بينيّته الاجتماعيّة العرقيّة تفكّك بسرّعة، وأعيدت هيكلته على أساس المساواة الخاطي، ولقد أبرزُ علماء أمثال: «بوتنام»، و«شوكلي»، و«دجنسن» فشل الاختبارات الاجتماعيّة الجديدة، وكيف أنّها تُسهّم في تدمير المجتمع الأميركيّ، لكنّ الإعلام والمؤسّسات الحكوميّة راحت تُروّج وتوسّع السياسات العرقيّة الجديدة»، و«عندما أمّن النّظامان: الاجتماعيّ، والقضائيّ في أميركا المساواة للذّين هم غير متساوين، انفتحت أبواب الجحيم وغلب على بلادنا مستوًى من البربريّة غير مسبوق في تاريخ الحضارات الأوروبيّة،

باستثناء مرحلة الحروب». ويقول كهان عن النظام الحاكم: «ما النتيجة الحقيقية لملايين الدولارات التي تم إنفاقها على تأمين فرص التعليم العالي، والتدريب الثانوي للعرب في إسرائيل؟ (...). لقد أنتجت الجهود المُضنية لقادة دولة إسرائيل جيلاً من القادة والمُفكرين العرب الذين يشكّلون المُفارقة الأبدية ألا وهي رغبتهم في تفكيك الدولة الإسرائيلية لمصلحة دولة عربية».

### 5. سُئِلَ التَّغْلُبُ عَلَى الْآخَرِ:

هناك تفكير إستراتيجي في جميع التنظيمات المُتطرّفة يدعو إلى تنفيذ خطة عمل مدروسة ومؤدية إلى انتصار التنظيم (مثل: الدعوة إلى تطبيق سياسات تحسين النسل لدى المُتطرّفين العرقيين، أو الدعوة إلى تطبيق خطة تطهير إثني للأرض لدى المُتطرّفين الإثنيين، أو الدعوة للانضمام إلى الجهاد الديني، وضرب المُلحدِين أينما وُجدوا، لدى المُتطرّفين الدينيين). يتحدث خليفة (1994) عن التفكير الإستراتيجي لدى أحزاب «أقصى اليمين» في إسرائيل الداعية إلى المُحافظة على «أرض إسرائيل الكاملة» ضمن السيادة الإسرائيلية، وللترحيل الفوري للفلسطينيين العرب. كذلك رأى سوسيه وآخرون (Saucier et al., 2009) أن التفكير الإستراتيجي في ذهنية المُتطرّفين يشمل واجب التصدي للشرّ، وتطهير العالم من كل الآفات، واعتماد إستراتيجيات تُسوِّغ استخدام الوسائل العنيفة في سبيل قدسية القضية، وتحويل الانتقام والوَع بالقتل إلى فضائل. هذا ويتحدّث ستانكوف وآخرون (Stankov et al., 2010) عن استخدام العنف على أنه السبيل الأفضل للخلاص. ولقد لمسنا كل تلك التعابير في خطاب التنظيمات الثلاث في دراستنا، بخاصة في خطاب داعش: «السعي إلى خلق حالة قصوى من الفوضى من خلال الوسائل التي تسمح بها الشريعة (...). فمن خلال الفوضى، يُمنع نظام الطاغوت من تأمين الاستقرار الذي سمح للطواغيت أن يحكموا طوال عقود من الزمن، وقمع أي حركة إسلامية من رُفَع رأسها، أو من همس عقيدتها»، و«إن إرث الأنبياء هو إرث تحديات، وفي كل مرة كان التحدي بين الأنبياء والكفار يتصاعد حتى يصل إلى درجة المعركة؛ بل الإبادة الجماعية وهي العقاب الذي يُنزله الله على الكفار بصورة مُفاجئة». و«أخذت الدولة الإسلامية على عاتقها مهمة تحضير الجيل الجديد لمواجهة الصليبيين وحلفائهم دفاعاً عن الإسلام فأقامت معاهد تدريب لهؤلاء الأشبال لتقوية مهاراتهم العسكرية، وتعليمهم كتاب الله والسنة والرسول ﷺ».

أمّا في خطاب كهان فالإستراتيجية الوحيدة هي ترحيل العرب عن أرض إسرائيل: هناك طريق واحد فقط يجب أن نسلكه: النّقل الفوري للعرب من «أرض إسرائيل إلى أراضيهم. هناك إجابة واحدة فقط: الانفصال، اليهود في أرضهم، والعرب في بلادهم. انفصال. فقط الانفصال». و«إنّ أبسط معاني الحفاظ على الذات يدعو إلى سياسة تجعل الحياة صعبة قدر الإمكان على العرب لحثّهم على المغادرة»، و«كيف نقنع العرب بالرحيل؟ الجواب: نحن لا نطلب، ولا نجادل، ولا نقنع. سيُعطي العربي خيار قبول نزع الجنسيّة والظروف الصّعبة التي سترتّب عليها ذلك الوضع، أو المغادرة الطوعية مقابل تعويض، أو المغادرة غير الطوعية من دون تعويض. ليس أمامه خيارات أخرى، وإنّ انتخاب حكومة قويّة ذو قبضة حديدية يُدرك العرب عزّمها على تنفيذ ذلك البرنامج بأيّ ثمن، من شأنه أن يُبقي المقاومة عند أدنى حدّ».

إنّ التّفكير الإستراتيجي في خطاب ديوك يشبه - إلى حدّ كبير - السّبل الذي طرحه كهان للانتصار على العرب. يقول ديوك: «إنّ الحل الوحيد العملي، وطويل الأمد لمشكلة العرق في أمريكا هو إعادة السود إلى وطنهم». ومع أنّ كهان دعا إلى «تعطيل قبلة التكاثر الديمغرافي للعرب» من خلال ترحيلهم وتهجيرهم، ذهب ديوك أبعد من كهان في طرحه حين يقول: «إنّها معركة بقائنا وحرّيتنا (...) وإنّ سياسات تحسين النسل هي المفتاح ليس فقط للتهوض بالصّحة والقدرات الفكرية، وكل الصّفات المرغوبة للبشرية؛ إنّ سياسات تحسين النسل لن تؤمّن عددًا قليلًا من العيوب والأمراض الوراثية في أجيالنا المستقبلية فحسب؛ بل إنّها سوف تزيد من عدد الأشخاص المُنتجين والمُبدعين الذين يستفيد منهم الجميع».

### توليف نتائج الدّراسة

بيّن تحليل البيانات تشابه مُكوّنات صورة الذات من جهة، ومُكوّنات النّظرة إلى الآخر من جهةٍ أخرى بين التنظيمات الثلاثة، وذلك على الرّغم من الاختلاف في نوع التّطرّف (عرقِي، أو اثني، أو ديني) والاختلاف في البيئة الزمنية والاجتماعية والحضارية الحاضنة لكلّ من تلك التنظيمات. على الرّغم من تلك الاختلافات تظهر صورة الذات والنّظرة إلى الآخر في كلّ من التنظيمات الثلاثة وكأنّها واحدة؛ بحيث إنّها إذا جرّدنا أي من الأقوال التابعة لأيّ كان من التنظيمات

الثلاثة من معالمها البيئية الخاصة بها، يصعب معرفة مصدر القول. فلنأخذ - على سبيل المثال - هذا القول: «نشعر بالفخر والاعتزاز بالأساطير التي كنا نسمعها عن أجدادنا، وكانت قصص تضحياتهم تحت التعذيب تلهمنا، وأدركنا معنى الشرف، وأردنا أن نتحمل المخاطر، وأن نقوم بالتضحيات من أجل قضيتنا المحقة، وأن نتحلى بالشجاعة على غرار أجدادنا الأبطال». قد ينطبق هذا القول على كل من التنظيمات الثلاث، ونؤكد بذلك طرح سوسيه وآخرون (Saucier et al., 2009) للخطاب المتطرف الأنموذجي الذي ينطبق على كل التنظيمات المتطرفة من أزمته وأمكنة مختلفة من العالم.

من جهة أخرى، بين تحليل البيانات أهميّة العامل الديني في التطرف العرقي والتطرف الإثني، ولقد لجأ كل من ديوك وكهان إلى تقديس قضيتهما وتأليهها في أنحاء عديدة من خطابهما، وبدا لنا كأن الدين (تقديس القضية وتأليهها) هو العامل، أو المحرك المشترك بين الأنواع الثلاثة من التطرف؛ ما يؤكد طرح ستوب (Staub, 2011) وبركات (2004) وكونزن (ترجمة رضوان، 2010) بأن الدين يُستخدَم بوصفه أداة سيطرة وضبط وتحريض ضد الآخر. نلاحظ في البيانات التي استخرجناها من خطاب كهان أنه غالباً ما يُدخل عامل الدين (اليهودية) في مقاربتة لموضوع الصراع العربي-الإسرائيلي على الرغم من أنه لم يتطرق إلى الإسلام في كتابه («يجب أن يرحلوا»)، وكانت مقاربتة مبنية على صراع اثني بامتياز (العرب والإسرائيليين)، ولكنه يُركز على يهودية الأرض، ويهودية إسرائيل، ويهودية الشعب في كل حججه، ومن الممكن القول: إن الخطاب «الكهاني» هو خطاب اثني-ديني يُشبهه في الكثير من الأحيان الخطاب «الداعشي». يقول كهان: «إن دولة إسرائيل ليست كيان سياسي. إنها كيان ديني. ما من قوة استطاعت أن تمنع ولادتها، ولا أحد يستطيع تدميرها. إنها بداية غضب الله، وانتقامه من الأمم التي تجاهلته، وأهانته، والتي لم تعرفه، لكنها البداية فقط. كيف سيكون الفداء النهائي، ومتى؟ إن ذلك يعتمد على اليهودي»، و«إن استعداد اليهودي للتضحية، وتعريض نفسه للخطر من أجل محو أسوأ الخطايا - تدنيس اسم الله - هو الاختبار الحقيقي».

أما ديوك فهو يفتخر «بأجداده الأوروبيين الذين أدخلوا الديانة المسيحية والحضارة الغربية إلى القارة الأميركية»، ويقول في الفصل الأخير من كتابه أنه

وضع هذا الكتاب من أجل «بقاء العرق الأبيض، من أجل الحرّية، ومن أجل الوصول إلى الجنّة». ويذهب «ديوك» بعيداً في تقديسه للمسألة العرقية بقوله: إن الله هو «مهندس العرق» فخلّق الأعراق المختلفة ومنحها خصائص مختلفة، وقدرات عقلية مختلفة، و«إذا نكر أحدنا حقيقة تلك الاختلافات العرقية فهو يتنكر لما خلقه الله». بناءً على ذلك، نستطيع القول: إنّ خطاب «ديوك» هو خطاب عرقي-ديني.

أمّا بالنسبة إلى «داعش»، لفتتنا تلك الأقوال الواردة في مجلة دابق، والتي تضع الدين فوق كل المسميات: «إنّ ديننا مقياسٌ وحكمٌ، وهو مقياس إلهي، وقوانيننا قرآنية، وأحكامنا هي التقليد النبوي، فالأميركي المسلم هو أخانا المحبب، وأمّا العربي الكافر فهو عدونا المحتقر حتى لو كنّا نتقاسم الرحم نفسه»، و«إنّها الدولة التي تشهد روابط الأخوة بين العربي وغير العربي، الرجل الأبيض والرجل الأسود، الشرقي والغربي. إنّها الخلافة التي جمعت القوقازي، والهندي، والصيني، والشامي، والعراقي، واليميني، والمصري، والمغربي، والأميركي، والفرنسي، والألماني، والأسترالي معاً؛ لأنّ الله جمع قلوبهم وأصبحوا إخوة ببركته تعالى يحبون بعضهم بعضاً من أجل الله واندمجت دماؤهم، وأصبحت واحدة تحت راية واحدة».

## خاتمة

لقد استطعنا من خلال هذه الدراسة في خطاب ثلاث تنظيمات متطرفة مختلفة تأكيد طرحنا الأساس وهو أنّ لغة التطرف هي لغة واحدة؛ تعكس حالة تفكير عالمية لدى الشعوب من كل الأزمنة والأمكنة. فالخطاب المتطرف هو خطاب واحد بغض النظر عن اللغة المستخدمة، وهو يتمحور حول خصائص نفس-اجتماعية لصورة الذات، والنظرة إلى الآخر وهي خصائص كونية، لا حدود جغرافية، أو تاريخية لها. هي عمليات إنسانية غير مرضية في الأصل؛ تحاكي أربعة دوافع واحتياجات طبيعية لدى الإنسان الاعتيادي، لكنها قد تتحوّل إلى عمليات عدوانية ومرضيّة، وهي:

1. نزعة الإنسان النرجسية لإبراز قيمته وأهميته في الكون (Becker, 1973)
2. حاجة الإنسان إلى التقدير الذاتي (وهي مرتبطة بالنرجسية)
3. حاجة الإنسان إلى الانتماء والتواصل مع الآخر؛ وهي من الدوافع الأساسية

في عملية نمو الإنسان الاجتماعي والعاطفي والفكري (Baumeister and Leary, 1995; Over, 2016)

4. حاجة الإنسان إلى البقاء والحفاظ على الذات (المترافقة بالخوف من الفناء). يقول بيكر (Becker, 1973) إن من بين كل الأشياء التي تحرك الإنسان، أهمها خوفه من الموت، وأن الخوف من الموت هو طبيعي وحاضر في كل منا. لقد لمسنا ارتباط تلك الدوافع الأربعة ببعضها بعضاً من خلال تحليلنا للبيانات في خطاب كل من التنظيمات المتطرفة الثلاثة، فتمثلت حاجة الإنسان النرجسية، وحاجته إلى التقدير الذاتي ولانتماء في صورة المتطرف الذاتية من خلال عمليات نفس-اجتماعية؛ مثل: تمجيد الماضي، وتقديس قضية التنظيم وتأييدها، والشعور بالفوقية، والنظرة المتفائلة للمستقبل، وتمثلت حاجة الإنسان إلى البقاء والحفاظ على الذات في نظرة المتطرف إلى الآخر من خلال عمليات نفس-اجتماعية، مثل: تحقير الآخر وشيخته، وتكريس الانتقام من الآخر، وإبراز صفات الظلم والقمع في الآخر؛ وهي جميعها مثل الوسيلة الدفاعية لتعزيز التقدير الذاتي والجماعي. وبرز الخوف من الفناء بامتياز في صورة الذات المضطهدة كما في سبل التغلب على الآخر.

نأمل أن تسهم هذه الدراسة المعمّقة للأبعاد النفس-اجتماعية للتطرف في مزيد من تسليط الضوء على الأسباب الأخرى للتطرف الاجتماعي والسياسية. وفي وضع الخطوط العريضة لبرامج الوقاية، أو التدخل لدرء التفكير المتطرف من خلال التركيز على كل من خصائص صورة الذات والنظرة إلى الآخر؛ بهدف تعديلها ضمن قنوات نفسية، واجتماعية، وسلوكية، وتربوية مُحفزة للخصائص النقيضة لها، مثل: ترسيخ قيم تقبل الآخر التي من شأنها تقليص الفجوة بين «النحن» و«الهم»، وإزالة الصور النمطية السلبية عن الآخر، وتنمية التسامح والاعتدال.

## المراجع والمصادر

### المراجع العربية

- أحمد خليفة، حركة كاخ في المشهد السياسي الإسرائيلي. مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 5، العدد 18، 1994م.
- أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، 2004م.
- حليم بركات، الهوية: أزمة الحداثة والوعي التقليدي، رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، 2004م.
- سامر جميل رضوان، سيكولوجية التطرف العقائدي: الافتتاحية، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية (25-26)، 2010م.
- عبد الغني عماد، الإسلاميون بين الثورة والدولة: إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013م.
- فؤاد إبراهيم، داعش من التجدي إلى البغدادي: نوستالجيا الخلافة، مركز أوال للدراسات والتوثيق، بيروت، 2015م.
- كونزن، التعصب: التحليل النفسي لظاهرة مرعبة، ترجمة: سامر جميل رضوان، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، 2010م.
- محمد علوش، داعش وأخواتها: من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، رياض الريس للكتاب والنشر. بيروت، 2015م.

### المراجع الأجنبية

- Acosta, B. (2014). The dynamics of Israel's democratic tribalism. *Middle East Journal*, 68 (2).
- Akins, J. K. (2006). The Ku Klux Klan: America's forgotten terrorists. *Law Enforcement Executive Forum*, 5 (7).
- Al Raffie, D. (2013). Social identity theory for investigating Islamic extremism in the diaspora. *Journal of Strategic Security*, 6 (4), 67-91. Retrieved from: <http://dx.doi.org/10.5038/1944-0472.6.4.4>.
- Arena, M.P., & Arrigo, B.A. (2005). Social psychology, terrorism, and identity: A preliminary re-examination of

- theory, culture, self, and society. *Behavioral Sciences and the Law*, 23. DOI: 10.1002/bsl.653.
- Baumeister, R. F., & Leary, M.R. (1995). The need to belong: Desire for interpersonal attachments as a fundamental human motivation. *Psychological Bulletin*, 117 (3).
  - Becker, E. (1973). *The Denial of death*. New York: The Free Press.
  - Borum, R. (2003) Understanding the terrorist mind-set. *FBI Law Enforcement Bulletin, Criminal Justice Periodicals*, 72.
  - Borum, R. (2010). Understanding Terrorist Psychology. *Mental Health Law & Policy Faculty Publications*. .
  - Borum, R. (2014). Psychological vulnerabilities and propensities for involvement in violent extremism. *Behavioral Sciences and the Law*, 32.
  - Duckitt, J., & Sibley, C.G. (2007). Right wing authoritarianism, social dominance orientation and the dimensions of generalized prejudice. *European Journal of Personality*, 21 (2), 113–130. doi: 10.1002/per.614.
  - Falk, A. (2004). *Fratricide in the Holy Land: A psychoanalytic view of the Arab-Israeli conflict*. Wisconsin: The University of Wisconsin Press, Terrace Books.
  - Hanania, R. (2019, April 22). How Meir Kahane ignited an anti-Arab torch that still burns till today. *Arab News*. Retrieved from: <http://www.arabnews.com/node/1485951/middle-east> .
  - Harkov, L. (2019, March 20). Then and now: Kahane and Ben-Ari's bans and the Israeli Overton window – analysis. *The Jerusalem Post*. Retrieved from: <https://www.jpost.com/Israel-Elections/Then-and-Now-Kahane-and-Ben-Aris-bans-and-the-Israeli-Overton-window-analysis-584040>.
  - Haslam, N. (2006). Dehumanization: An integrative review. *Personality and Social Psychology Review*, 10 (3).

- Haslam, N., & Loughnan, S. (2014). Dehumanization and infrahumanization. *Annual Review of Psychology*, 68, 399-423. doi: 10.1146/annurev-psych-010213-115045.
- Hogg, M. A. (2014). From uncertainty to extremism: Social categorization and identity processes. *Current Directions in Psychological Science*, 23 (5), 338-342. doi: 10.1177/096372141414540168.
- Johnson, D. (2012). Right-wing resurgence: How a domestic terrorist threat is being ignored. Rowman & Littlefield Publishers, ProQuest Ebook Central. <http://ebookcentral.proquest.com/lib/lau-ebooks/detail.action?docID=1021166>.
- Koch, A. (2017). The New Crusaders: Contemporary extreme right symbolism and rhetoric. *Perspectives on Terrorism*, 11 (5).
- Korte, R. F. (2007). A review of social identity theory with implications for training and development. *Journal of European Industrial Training*, 31 (3), 166-180. DOI 10.1108/03090590710739250.
- Kteily, N., Bruneau, E., Waytz, A., & Cotterill, S. (2015), The Ascent of man: Theoretical and empirical evidence for blatant dehumanization, *Journal of Personality and Social Psychology*, 109 (5), 901-931. <http://dx.doi.org/10.1037/pspp0000048>.
- McVeigh, R. (2009). *The rise of the Ku Klux Klan: Right-wing movements and national politics*. University of Minnesota Press.
- Moghaddam, F.M. (2005). The staircase to terrorism: A psychological exploration. *American Psychologist*, 60 (2), 161-169. doi: 10.1037/0003-066X.60.2.161.
- Newton, M. (2010). *The Ku Klux Klan in Mississippi: A history*. McFarland & Company, Inc., Publishers.
- Oakes, P.J., & Turner, J.C. (1980). Social categorization and intergroup behavior: Does minimal intergroup discrimination

- make social identity more positive? *European Journal of Social Psychology*, 10.
- Over, H. (2016). The origins of belonging: Social motivation in infants and young children. *Philosophical Transactions of the Royal Society B*, 371, Issue 1686. Retrieved from: <http://dx.doi.org/10.1098/rstb.2015.0072>.
  - Perlinger, A. (2012). *Challengers from the Sidelines: Understanding America's Violent Far-Right*. The Combating Terrorism Center at West Point. Retrieved from: <https://ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2013/01/ChallengersFromtheSidelines.pdf>.
  - Perlman, F., & Frankel, J. (2009). Relational psychoanalysis: A review. *Psychoanalytic Social Work*, 16 (2), 105-125. doi: 10.1080/15228870903200277.
  - Roth, J., & Steffens, M. C. (2014). When I becomes we: Associative self-anchoring drives implicit intergroup bias in minimal groups. *Social Psychology*, 45(4), 253-264. DOI: 10.1027/1864-9335/a000169.
  - Sahar, G. (2014). On the importance of attribution theory in political psychology. *Social and Personality Psychology Compass*, 8 (5).
  - Saucier, G., Akers, L.G., Shen-Miller, S., Knezevic, G., & Stankov, L. (2009), Patterns of thinking in militant extremism. *Perspectives on Psychological Science*, 4 (3), 256-271. doi: 10.1111/j.1745-6924.2009.01123.x.
  - Silke, A. (2008). Holy warriors: Exploring the psychological processes of Jihadi radicalization. *European Journal of Criminology*, 5 (1), 99-123. doi: 10.1177/1477370807084226.
  - Sprinzak, E. (1989). The Emergence of the Israeli Radical Right. *Comparative Politics*, 21(2), 171-192. doi:10.2307/422043.
  - Stankov, L., Saucier, G., & Knežević, G. (2010). Militant

- extremist mind-set: Proviolence, vile world, and divine power. *Psychological Assessment*, 22 (1), 70–86. doi: 10.1037/a0016925.
- Staub, E. (2011). *Overcoming evil: Genocide, violent conflict and terrorism*. Chapter 8, 208-237. Oxford University Press.
  - Tajfel, H. (1982). Social psychology of intergroup relations. *Annual Review of Psychology*, 33, 1-39.
  - Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behaviour. In S. Worchel & W. G. Austin (Eds.). *Psychology of intergroup relations* (2nd ed., pp. 7-24). Chicago: Nelson-Hall.
  - Tajfel, H., & Turner, J. (2004) [Reading 16]. The Social Identity Theory of Intergroup Behavior. In J. T. Jost & J. Sidanius (Eds.), *Key readings in social psychology: Political psychology* (pp. 367–390). Psychology Press.
  - United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO) (2020 revised edition). *Basic Texts*, Paris: UNESCO. Retrieved from: <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000372956?posInSet=1&queryId=8d7ca229-8043-426a-9039-3c83b06cc042>.